# حول البردة

للاستاذ محمد سيد كيلانى

بقية ما نشر فى العدد الماضى

لم سميت بالبردة ؟

سبق أن رأينا البوصيرى يطلق على قصائده أسماء معينة مثل « ذخر المعاد » و « تقديس الحرم من تدنيس الضرم » و « أم القرى فى مدح خير الورى » . ومن المؤكد أن هذه الأسماء لا تخفى وراءها أسراراً وأنه لم يقصد بها غير ظاهرها . وقد أطلق على قصيدته التى مطلعها .

أمن تذكر جيران بذى سلم مزجت دمعا جرى من مقلة بدم

إسم « البردة » وذلك على سبيل المجاز . فهى فى نظره قد استوعبت مناقب الرسول وفضائله . وقد شبه البوصيرى شعره فى أكثر من موضع بالبردة وبالحلة . فقال يخاطب النبى فى قصيدته « ذخر المعاد » .

هاك حلة بخلال منك قد رقمت ما فى محاسنها للعيب تخييل
جاءت بحبى وتصديق إليك وما حبى مشوب ولا التصديق مدخول
ألبستها منك حسنا فازدهت شرفا بها الخواطر منا والتناويل
لم أنتحلها ولم أغصب معانيها وغير مدحك مغصوب ومنحول

وقال فى الهمزية :

هاك من صنعة القريض بروداً لك لم تحك وشيها صنعاء

فهذا البيت صريح فى أن الرجل كان يرى أن مديحه للرسول يشبه البردة التى حوت جميع الصفات الحميدة التى اتصف بها النبى عليه السلام .

وقد ذكر البوصيرى كلمة « بردة » فى غير المناسبات السابقة ومثال ذلك قوله :

وسحول الله دعوة مستقيل من التقصير خاطره هيوب
تعذر فى المشيب وكان عيا ورد شبابه ضاف قشيب

وفى قصيدته « ذخر المعاد » نظر إلى كعب بن زهير وقصته مع الرسول . قال :

وما على قول كعب أن نوازنه فربما وازن الدر الثاقيل

فمما تقدم نرى أن البوصيرى أطلق على قصيدته اسم « البردة » ولم يرد منه سوى المعنى المجازى .

وللبردة اسم آخر وهو « البرءة » وذلك لأن البوصيرى فى زعمهم برىء بها من علته ولو ألقينا نظرة على هذه القصيدة لما وجدنا الشاعر قد ذكر علته ولا أشار إلى إصابته بمرض معين إشارة قريبة أو بعيدة ولم يتوسل إلى الله أن يشفيه من مرض أصابه ولا من داء ألم به .

فهذه التسمية مبنية على قصة مرض البوصيرى بالفالج ورؤيته للنبى وشفائه عقب هذه الرؤية . وقد سبق أن ناقشنا هذه الروايات وفندناها . وكل ما يمكننا أن نقوله هو أن البوصيرى ربما نظم هذه القصيدة عقب شفائه من الكسر الذى أصابه . وفى هذه الحالة يعوزنا الدليل على ما نقول .

وعلى ذلك فالأقرب إلى العقل والمنطق أن البوصيرى رأى قوماً متجهين إلى الحجاز فتذكر رحلته فأنشأ هذه القصيدة وبدأها بقوله : أمن تذكر جيران بذى سلم ... الخ فإذا اقتنعنا بذلك أمكننا أن نقول إن اطلاق اسم « البرءة » على هذه القصيدة هو من وضع الرواة واختراع القصاص .

وقد سميت كذلك بقصيدة « الشدائد » وذلك لأنها فى زعمهم تقرأ لتفريج الشدائد وتيسير كل أمر عسير وهذا وهم باطل واعتقاد فاسد . وما البردة إلا قصيدة كغيرها من آلاف القصائد التى مدح بها الرسول . وليت شعرى أى شىء فى هذه القصيدة يشفى من الأمراض ويجلب الرزق ويذهب بالشدائد ؟ أهو البكاء على جيران بذى سلم وكاظمة وإضم والبان والعلم ؟؟ أم ذكر ارتجاس الإيوان وخمود النيران ورؤيا الموبذان وسجود الأشجار ، وهذا كله من الأساطير والخرافات ؟ وفضلا عن ذلك فإن البوصيرى ذكر هذه الخوارق فى قصائد أخرى كما ذكرها غيره ممن مدحوا الرسول . فلم انفردت أبيات البوصيرى فى هذا المقام بشفاء المرض وتفريج الشدائد دون غيرها ؟

أما التكلم عن جهاد الصحابة فهذا مذكور فى كثير من كتب التاريخ ، ولا يعقل أن الشعر الذى يشير إلى هذا الجهاد يشفى مرضاً أو يجلب رزقا .

لم تحو البردة غير هذه الموضوعات : الغزل والتشبيب بالأماكن الحجازية ، ثم وصف لمناقب الرسول وذكر لكثير من المعجائب والمعجزات ، ثم الإشادة بكفاح الصحابة فى سبيل الاسلام . ولا يستطيع عاقل أو نصف عاقل أن يدعى أن شعراً يقال فى موضوع من هذه الموضوعات يجلب الغنى ويطرد الفقر ويذهب الضيق .

وإسم آخر أطلق على هذه القصيدة وهو « الكواكب الدرية فى مدح خير البرية » .

## شروط قراءتها :

ولم يكتف بعض المسلمين بما اخترعوا من قصص حول هذه القصيدة بل شرعوا يضعون لقراءتها شروطاً لم توضع مثلها لقراءة القرآن . فمن هذه الشروط :

(١) التوضؤ (٢) استقبال القبلة (٣) الدقة فى تصحيح ألفاظها وإعرابها (٤) أن يكون القارىء عالماً بمعانيها (٥) قراءتها بالنظم لأنها وردت منظومة لا منثورة (٦) حفظها (٧) كون القارىء مأذونا بقراءتها من أهلها (٨) قراءتها مع الصلاة على النبى عليه السلام . ويلزم أن تكون الصلاة بتلك التى صلى بها البوصيرى وهى :

مولاى صل وسلم دائما أبدا  على حبيبك خير الرسل كلهم

لا بغيرها وإلا فلا تكون مؤثرة .

وقال قوم آخرون إن من شروط قراءتها أن يصلى من أراد ذلك ركعتين بنية قضاء الحاجة لوجه الله تعالى . وأن يقرأ بعد الصلاة ثلاث مرات باسم الله توكلت على الله ولا حول ولا قوة إلا بالله . وثلاث مرات خير لنا وشر لأعدائنا . رب يسر ولا تعسر . رب تمم بالخير آمين يا رب العالمين . وثلاث مرات يا فتاح . وما النصر إلا من عند الله ثلاث مرات . الله أكبر ، الله أكبر ، لا إله إلا الله . والله أكبر ولله الحمد . وأن يقرأ الآية الكريمة مرة واحدة مع البسملة الشريفة وهى قوله تعالى : لقد جاءكم إلى آخر الآية وأن يصلى على النبى صلى الله عليه وسلم بهذه الصلاة أعنى بها اللهم صل أفضل صلاة على أسعد مخلوقاتك سيدنا محمد وعلى آله وصحبه وسلم عدد معلوماتك ، ومداد كلماتك كما ذكرك الذاكرون وغفل عن ذكرك الغافلون .

ولا شك فى أن هذا يدل على انحطاط فى مستوى التفكير وضعف لا مثيل له فى العقول . ووجه العجب فى هذا أن المسلمين على اختلاف مذاهبهم وفرقهم قد آمنوا بهذه الخرافات واتفقت كلمتهم فى مشارق الأرض ومغاربها على التصديق والإيمان بما يقال عن هذه القصيدة لا فرق فى ذلك بين سنى وشيعى . والذى ساعد على هذا هو تفشى الجهالة بين الشعوب الإسلامية بعد أن ابتعدت عن العلم الصحيح وتركت تعاليم المنزلة جملة واحدة واستسلمت للدجالين والمشعوذين الذين سيطروا على العقول زمنا طويلا .

ويرجع الفضل فى نشر هذه الخرافات بين المسلمين إلى رجال الطرق الصوفية الذين اتخذوا البردة نشيداً يتغنون بها فى حفلات الذكر .

## منافعها :

ووضعوا للبردة من المناقب والفضائل مالا يقع تحت حصر . فهى تشفى من الرمد والفالج والحمى وغيرها من الأمراض . وما قرأها أحد عند نزول الشدائد إلا فرج الله عنه . وما قرأها على سفينة هال عليها الريح إلا سلمت من الغرق . وما قرأها مسجون إلا خرج سالما . ومن قرأها فى ليلة الجمعة بعد العشاء الأخيرة بطهارة كاملة رأى النبى فى منامه ومن مناقبها أنها تقرأ لإطالة العمر ودفع البلاء وجلب المنفعة .

هذه مناقب القصيدة عامة . ثم وضعوا لكل بضعة أبيات منها مناقب خاصة وفوائد معينة . فمن قوله :

أمن تذكر جيران بذى سلم

إلى قوله :

وما لقلبك إن قلت استفق يهم

يقول عبد السلام بن ادريس المراكشى أحد شراح البردة « خاصية هذه الأبيات الثلاثة إذا كانت عندك بهيمة لم تقبل التعلم فاكتبها فى زجاجة واغسلها بماء المطر واسقها للبهيمة فإنها

تذل وتتعلم ما أنت تعلمها بسرعة . وإن كانت لك مملوكة أو مملوك من العجم ، ولم يتعلم كلام العرب بسرعة فاكتب هذه الأبيات في رق غزال ثم علقه على عضده الأيمن فإنه يتفصح بسرعة بإذن الله تعالى . »

ومن قوله :

أيحسب الصب أن الحب منكتم إلى قوله :

والحب يعترض اللذات بالألم

قال الشيخ عبد السلام المتقدم ذكره : « خاصية هذه الأبيات عجيبة . وذلك أنك إذا كنت تتهم أحداً من النساء فاكتب هذه الأبيات في ورقة انزج وخلها حتى الوقت الذي تكون فيه نائمة ، فضع الورقة على ثديها الأيسر واجعل أذنك عند فمها فإنها تنطق بجميع ما تفعله في غيبتك من مليح أو قبيح . هذا مجرب صحيح . وكذلك إذا شككت في أحد أنه أخذ لك شيئا وأنكره فاكتب هذه الأبيات في جلد ضفدع مدبوغا وخذ لسان ضفدع وصيره في الجلد وعلقها في عنقه فإن المتهم الذي سرق لك شيئا يقربه من ساعته ويدهش ولا يستطيع أن ينكر ولا يخاصم أصلا ، فاعرف مقدار هذا السر العظيم » .

وهكذا استغل المشعوذون والدجالون قصيدة البردة لابتزاز الأموال والاحتيال على بسطاء الأحلام وضعفاء العقول . واتخذوا منها تمائم وأحجبة وشرعوا يوهمون السلاح بفوائد هذه التمائم ومنافعها ويتقاضون على ذلك ما يملأ جيوبهم . ومن الذي يستطيع أن يأتي بجلد ضفدع مدبوغ ولسان ضفدع ورق غزال وماء زعفران غير أولئك الذين خصصوا أنفسهم في مزاولة الاحتيال والنصب ؟

شهرتها .

وقد ترتب على ما تقدم أن سار ذكر البردة في الآفاق شرقا وغربا ، وحفظها الخاص والعام ، وتغنى بها الناس في الموالد والأذكار ، وأكثروا من تلاوتها في شتى المناسبات . وقد ترجمت إلى بعض اللغات الشرقية كالتركية والفارسية والأردية . كما ترجمت إلى بعض اللغات الأوربية . فترجمها إلى اللغة الفرنسية المسيو رينه باسيه وطبعها في باريس سنة ١٨٩٤ . كما ترجمها إلى اللغة الإيطالية السنيور جابر يلي وطبعها في فلورنسه عام ١٩٠١ . وكذلك ترجمت إلى اللغتين الانجليزية والألمانية .

وأقبل الشعراء عليها فمنهم من يصدرها ومنهم من يعجزها ومنهم من يخمسها ومنهم من يسبعها ، ومنهم من يتسمها ومنهم من يعشرها ومنهم من ينهج نهجها وينسج على منوالها .

وأوسعها الكتاب شرحا وتعليقا ووضعوا لها المناقب والفضائل والكرامات على نحو ما ذكرنا . وفي دار الكتب المصرية مجموعتان كبيرتان ، الأولى تحت عنوان تخاميس البردة المسماة بالكواكب الدرية في مدح خير البرية » وهي تسع وستون تخميسا لم يعلم جامعها .

والثانية عنوانها « الشهب المضية في تخميس الكواكب الدرية » وهي ثلاثون تخميسا لم يعلم جامعها

ولا تخلو مكتبة في أوربا من شروح للبردة وتخاميس لها .

كيف اشتهرت البردة ؟

أنت تعلم أن البوصيري من أصل مغربي ، وأنه قضى بقية عمره في الاسكندرية مندمجا في سلك أبي العباس المرسي ، مجتهدا في نشر الدعوة للطريقة الشاذلية .

وقد كانت الاسكندرية في ذلك الوقت محط رحال كثير من المغاربة الذين كانوا يفدون عليها ويجدون من سذاجة الناس ما يشجعهم على الاشتغال بالنصب والاحتيال وادعائهم رؤية الطوالع وعلم الغيب والقدرة على جلب الثروة وكشف المخبأ من الكنوز وغير ذلك من ضروب الغش التي استحلوا بها أموال الناس .

وطفق هؤلاء المغاربة بعد زوال الدولة الفاطمية يعملون على الاحتفاظ بمكانتهم الأدبية ومستواهم المادي الذي كانوا عليه أيام الفاطميين . وهكذا رأينا أقطابا من أصل مغربي يظهرون فجأة وتوضع لهم المناقب وتخترع لهم الكرامات ومن هؤلاء الأقطاب أبو الحسن الشاذلي فقد قال فيه أنصاره ما لم يقل مثله في أكبر الصحابة والتابعين . ورأى هؤلاء المغاربة أن يكثروا من عدد

الأقطاب طمعا فى الثروة وجلبا للكسب فألفوا حول أبى العباس المرسى مثل ما ألفوا حول أستاذه الشاذلى، ثم ألفوا حول البوصيرى المغربى الأصل مناقب كثيرة ولقبوه بالإمام وأقاموا له ضريحا. وهكذا أخذت أضرحة الأقطاب المغاربة تكثر يوما بعد يوم فرأينا ابراهيم الدسوق فى دسوق، وأحمد البدوى فى طنطا، وعبدالرحيم القنائى فى قنا، ويوسف أبا الحجاج فى الأقصر. وأخذ المصريون يحملون إليها النذور ويقدمون لها القرابين ويتوسلون بها فى قضاء الحاجات. وبهذا افتتن القائمون على هذه الأضرحة وكلهم من أصل مغربى، واستحلوا أموال الناس بأكلونها بالباطل ولم يتورعوا عن استغلال الطرق المزرية وارتكاب المخازى والفضائح مع ضحاياهم ليستولوا بذلك على الأموال الطائلة. وأعانهم على ذلك جهل العامة وعدم وجود حكومات تضرب على أيديهم.

واتخذ المغاربة من « البردة » مجالا لنشاطهم، ووضعوا لها المناقب والفضائل، واحتكروا نسخها وتأجيرها وبيعها وشرحها وتفسيرها، كما كتبوا فى خصائص كل بيت من أبياتها. وحفظها أتباع الطريقة الشاذلية وصاروا ينشدونها فى الأذكار

## قيمتها الأدبية:

لا جدال فى أن البردة من أروع القصائد التى قيلت فى مدح الرسول. فهى قوية فى أسلوبها غنية بالحكم الخالدة والتشبيهات الرائعة والاستعارات اللطيفة والمعانى التى عجز الشعراء عن الإتيان بمثلها والتى ضمنت للبوصيرى ذيوع الاسم وخلود الذكر. وقد اقتبس الشعراء الذين جاءوا بعده كثيرا من المعانى الواردة فى البردة. ومثال ذلك قوله:

فإن لى ذمة منه بتسميتى  محمداً وهو أوفى الخلق بالذمم

فأخذ هذا المعنى شعراء كثيرون منهم أحمد شوقى حيث يقول:

يا أحمد الخير لى جاه بتسميتى  وكيف لا يتسامى بالرسول سمى

وقال:

لا طيب يعدل تربا ضم أعظمه  طوبى لمنتشق منه وملتثم

فتداوله كثيرون ومن ذلك قول أحدهم:

يا خير من دفنت بالقاع أعظمه  فطاب من طيبهن القاع والأكم

وقد أجاد البوصيرى إجادة تامة فى قوله:

كفاك بالعلم فى الأمى معجزة  فى الجاهلية والتأديب فى اليتم

فى حين أن شوقى لم يجد فى قوله:

ذكرت باليتم فى القرآن تكرمة  وقيمة اللؤلؤ المكنون فى اليتم

ولم يلحق بالبوصيرى حين قال:

يا أيها الأمى حسبك رتبة  فى العلم أن دانت بك العلماء

* * *

ولم ينتفع الشعراء بمعانى البوصيرى فى هذه القصيدة فقط، بل انتفعوا بأسلوبه وأغاروا على طريقته ونقلوا كثيرا من عباراته. ولعل هذا يرجع الى مظاهر القداسة التى أحيطت به هذه القصيدة وإلى الإجادة التامة التى وفق إليها البوصيرى فى البردة. وما أصدق أحمد شوقى حين يقوله:

المادحون وأرباب الهوى تبع  لصاحب البردة الفيحاء ذى القدم

مديحه فيك حب خالص وهوى  وصادق الحب يملى صادق الكلم

الله يشهد أنى لا أعارضه  من ذا يعارض صوب العارض العرم

وإنما أنا بعض القائلين ومن  يغبط وليك لا يذمم ولا يلم

محمد سيد كيلانى


## اعلان مناقصة

تقبل عطاءات بوزارة الشئون الاجتماعية (مشتريات) لغاية الساعة ١٢ من ظهر يوم الثلاثاء الموافق ١٢ سبتمبر عن توريد الأثاث والأدوات الصاج اللازمة للوزارة عام ١٩٥٠ — ١٩٥١ ويمكن الحصول على الشروط مقابل ٢٥٠ مليما يضاف إليه مبلغ ٣٠ مليما أجرة البريد وتقدم الطلبات على ورقة تمغة فئة الثلاثين مليما ٥٥٣٥